بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴾[آل عمران: ١٠٥-١٠٧].

خامساً: الوفاء :

يتناول جانب الوفاء ، عرض الأبعاد التالية :

- الوفاء بالعهد والمواثيق والعقود.
- قضاء الدين وأداء حقوق الآخرين.

وفيما يلي عرض تفصيلي لكل من تلك الجوانب :

الوفاء بالعهد والمواثيق والعقود :

الوفاء بالعهد والحرص على الالتزام بما أقر المسلم على نفسه من عهود وعقود ، من المسئوليات الإسلامية التي ثبت فيها أكثر من نص قرآني مبارك ، حيث قال الله ﷻ في صدر سورة المائدة الآية ١

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾

وقال سبحانه جل شأنه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[النساء: ٥٨].

وقال تبارك اسمه :

﴿... وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[الإسراء: ٣٤].

والعهد بين المؤمن وغيره من الناس ، هو في حقيقته عهد مع الله ، لأن المسلم يتوجه في حياته كلها على نهج من الحرص على رضوان الله ، ومن ثم فإن الإخلال بالعهد مع الناس هو إخلال بالعهد مع الله ﷻ .

وفي سورة آل عمران جاء التنبيه إلى سوء موقف بعض أهل الكتاب في تهربهم من أداء أمانات المخالفين لهم في الملة ، فوصفهم الله ﷻ بالكذب عليه ، فقال:

﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[آل عمران: ٧٥].

عقوبة الإخلال بالعهد :

جاء نهى الله سبحانه وتعالى ، عن الحذر من أكل أموال الناس بالباطل ، وسوء العاقبة الذي ينتظر من يتساهل في هذا الأمر ، الذي يثير الريبة والقلق في المعاملات ، بما ينعكس أثره على التردد في التعاملات والتعرض للكساد ، نظرا لخشية المتعاملين من أثر ضياع أموالهم وأكلها من بعضهم البعض ، فقد قال الله ﷻ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴾[النساء: ٢٩-٣٠].

ومما يلفت النظر في النص القرآني ، التلازم بين أكل الأموال وقتل النفس ، ولعل حكمة ذلك ، أن المال المدخر كما هو معروف في الفكر الاقتصادي هو جهد وعمل مدخر ، والمال الحلال لم يأت إلا بكد ونصب وجهاد في طلب العيش ، والاعتداء على ذلك المال يعد اعتداء على عمر الإنسان وجهده وعرقه وقلقه وكده .

وفي نص قرآني حاسم شددالله ﷻ عقوبة المخالفين للعهد يوم القيامة بقول سبحانه جل شأنه:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
[آل عمران: ٧٧]

وجاء نذير العقوبة في الآخرة أيضا ، في قوله سبحانه جل شأنه :

﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[الرعد: ٢٥].

قضاء الدين وأداء حقوق الآخرين :

في شأن الوفاء بالدين والحرص على الحقوق المتبادلة بين المتعاملين ، جاءت التوجيهات الربانية التالية في كتاب الله ﷻ :

● ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ﴾[النساء: ٥٨].

● ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴾[النساء: ٢٩].

● ﴿ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ١٨٨]

والنية عليها مدار المسئولية أمام الله ﷻ في سداد الدين ، ففي الحديث

عَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ: سَمِعْتُ رسُول اللَّه ﷺ يقُولُ: «مَنْ اسْتَدَان دَيْنًا يَعْلَمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ أَنَّهُ يُرِيدُ أَدَاءَهُ أَدَّاهُ اللَّهُ عَنْهُ»(١).

أما من استدان وهو ينوى عدم السداد ، فإنه يعد سارقا ، حيث ثبت

عَنْ صهيب الْخَيْرِ عنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «أيُما رجُل يَدِينُ دَيْنًا وَهُوَ مُجْمِعٌ - عازم - أَنْ لا يُوفِّيهُ إيَّاهُ لَقِيَ اللَّهَ سارِقًا»(٢).

في حديث آخر عَنْ عَمْرِو بْنِ الشَّرِيد عنْ أبيه قالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : «لَيُّ الْوَاجِدِ يُحلُّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ»(٣).

ولى الواجد يقصد به مراوغة المدين في السداد برغم وجود مال عنده.

وجاء عنْ نافع عن ابْنِ عُمر عن النَّبيَ ﷺ قال: «مطْلُ الْغنيِّ ظُلْمٌ وإذا أُحلْت على مليء فاتْبعْهُ وَلا تبعْ بيْعتيْن في بيْعة»(٤).

وفى حديث آخر عنْ مُحمَّد بْن جُبير بن مطْعم عنْ أبيه أنَّهُ شهد خُطْبة رسُول اللَّه ﷺ في يوْم عرفة في حجَّة الْوداع: «أيُها النَّاسُ إنِّي واللَّه لا أدْري لعلِّي لا ألْقاكُمْ بعْد يوْمي هذا بمكاني هذا فرحم اللَّهُ منْ سمع مقالتي اليوم فوعاها فرُبَّ حامل فقْه ولا فقْه لهُ ورُبَّ حامل فقْه إلى من هُو أفْقهُ منْهُ واعْلمُوا أنَّ أموالكُمْ ودماءكُمْ حرامٌ عليْكُمْ كحُرْمة هذا الْيوْم في هذا

---

١) حديث مرفوع منقطع رواه أحمد فى المسند - كتاب باقى مسند الأنصار - باب حديث ميمونة بن الحارث الهلالية زوج النبى.

٢) حديث مرفوع متصل رواه ابن ماجة فى سننه - كتاب الأحكام - باب من أدان دينا ولم ينو قضاءه.

٣) حديث مرفوع متصل رواه النسائى فى سننه - كتاب البيوع - باب مطل الغنى.

٤) حديث مرفوع متصل رواه الترمذى فى سننه - كتاب البيوع عن رسول الله - باب ما جاء فى مطل الغنى أنه ظلم.

الشَّهْرِ فِي هذا الْبلد واعْلَمُوا أنَّ الْقُلُوب لا تُغلُّ على ثلاثٍ إخْلاصِ الْعملِ للَّه ومُناصحَة أولي الأمْرِ وعلى لُزُومِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمينَ فَإنَّ دعْوَتَهُمْ تُحيطُ منْ ورَائِهِمْ»[1].

وقد تعددت التوجيهات النبوية المحذرة من التلاعب في السداد ، في ترهيب فيه أكثر من مأخذ ، حرص النبى أن يبين أثره في الدنيا قبل الآخرة، كما يأتى بيانه في المواقف التالية :

● لم يرض الرسول أن يصلى على من كان عليه دين ولم يترك لورثته ما يسدد دينه .

حيث ثبت عَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأكْوعِ ﷺ قال: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبيِّ ﷺ إذْ أُتيَ بِجَنَازَة فَقَالُوا صَلِّ عَلَيْهَا.. فَقَالَ: «هَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ ؟..» قَالُوا: لا .. قَالَ: «فَهَلْ تَـرَكَ شَـيْئًا ..» قَـالُوا: لا فَصَلَّى عَلَيْهِ .. ثُمَّ أُتيَ بِجَنَازَة أُخْرَى فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّه صَلِّ عَلَيْهَا .. قَالَ: «هَـلْ عَلَيْـهِ دَيْنٌ..؟» قِيلَ: نَعَمْ .. قَالَ: «فَهَلْ تَرَكَ شَيْئًا ..» قَالُوا: ثَلاثَةَ دَنَانِير.. فَصَلَّى عَلَيْهَا.

ثُمَّ أُتي بِالثَّالِثَة فَقَالُوا: صَلِّ عَلَيْهَا.. قَالَ: «هَلْ تَرَكَ شَيْئًا ؟ ..» قَالُوا: لا .. قَالَ: «فَهَلْ عَلَيْهِ دَيْنٌ ؟..» قَالُوا: ثَلاثَةُ دَنَانِير .. قَالَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ .. .. »[2].

● وبلغ من خطورة التخلف عن سداد الدين ، أن الشهيد برغم منزلته العظيمة عند الله عز وجل ، لا تعفيه من مسئولية السداد أمام الله سبحانه وتعالى :

حيث جاء عَنْ عَبْد اللَّه بْن عَمْرو بْن الْعَاص أنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قَالَ: يُغْفَرُ للشَّهيدِ كُـلُّ ذَنْب إلاَّ الدَّيْن»[3].

● وفى نفس المعنى ثبت عنْ أبي هُرَيْرَة ﷺ قال: جاءَ رجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ وهُو يَخْطُبُ على الْمنْبر..

فقال: أرأيْت إنْ قَاتَلْتُ في سبيل اللَّه صابرا مُحْتَسبا مُقْبلاً غيْر مُدْبر أيُكفِّرُ اللَّـهُ عنِّـي سيِّئَاتي ؟

قال: «نعمْ .. ثُمَّ سكت ساعة قال: أين السَّائلُ آنفا؟ ..» فقال الرَّجُلُ: ها أنا ذا .. قال: «ما قُلْت ؟..» قال: أرأيْت إنْ قُتلتُ في سبيل اللَّه صابرا مُحْتسبا مُقْبلا غير مُدْبر أيُكفِّرُ اللَّـهُ عنِّي سيِّئَاتي .. قال: «نعمْ إلاَّ الدَّين سارَّني به جبريلُ آنفـا. (أى قـال بهـا لـي جبريـل سابقا)[4]».

---

١) حديث مرفوع متصل رواه الدارمى فى سننه – كتاب المقدمة – باب الإقتداء بالعلماء.

٢) صحيح البخارى – كتاب الحوالات – باب إن أحال دين الميت على رجل جاز.

٣) صحيح مسلم– كتاب الإمارة – باب من قتل فى سبيل الله كفرت خطاياه إلا الدين

٤) رواه حديث مرفوع متصل رواه النسائى فى سننه – كتاب الجهاد – باب من قاتل فى سبيل الله تعالى وعليه دين

وكان ذلك قبل فتح الفتوح ، وبعد تلك المرحلة ، جاء في الحديث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْمُتَوَفَّى عَلَيْهِ الدَّيْنُ فَيَسْأَلُ هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلاً فَإِنْ حُدِّثَ أَنَّهُ تَرَكَ لِدَيْنِهِ وَفَاءً صَلَّى وَإِلاَّ قَالَ لِلْمُسْلِمِينَ: «صَلُّوا عَلَى صَاحِبِكُمْ» فَلَمَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْفُتُوحَ قَالَ: «أَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ فَمَنْ تُوُفِّيَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالاً فَلِورَثَتِهِ»[1].

عقوبة عدم الوفاء بالدين في الآخرة :

من أبشع مظاهر أكل أموال الناس بالباطل ، عدم الوفاء بالدين ، والإخلال بالائتمان المتبادل في التجارة ودوائر الأعمال ، مما ينعكس سلبا على النشاط الاقتصادي بالانكماش وانحسار الرواج ، وقد حذر الرسول ﷺ من غضب الله ﷻ يوم يلقاه العبد وقد اقتطع وأكل مال مسلم بغير وجه حق :

فقد جاء «عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ..قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «مَنْ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ .. .. وقَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٧]»[2]

في قول كله تخويف وترهيب من التخلف عن السداد ، ثبت عن الله ابن مسعود قال : القتل في سبيل الله يكفر كل ذنب إلا الأمانة يؤتى بصاحبها وإن كان قتل في سبيل الله فيقال له: أد أمانتك .. فيقول : رب ذهبت الدنيا فمن أين أؤديها ؟ .. فيقول : اذهبوا به إلى الهاوية حتى إذا أتى به إلى قرار الهاوية مثل له أمانته كيوم دفعت إليه .. فيحملها على رقبته يصعد بها في النار حتى إذا رأى أنه خرج منها هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين .. وقرأ عبد الله:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[النساء: ٥٨].

وأكل أموال الناس بالباطل وعدم رد الأمانات إلى أصحابها ، حذر منه النبي ﷺ بما جاء

---

١) صحيح البخارى – كتاب الحوالات – باب من تكفل عن ميت دينا فليس له أن يرجع.

٢) رواه حديث مرفوع متصل رواه أحمد فى المسند – كتاب مسند المكثرين من الصحابة – باب مسند عبد الله ابن مسعود.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَا كَعْبُ بْنَ عُجْرَةَ إِنَّهُ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ»[1].

ولعل مما يخشى من عذاب الله فيه ، تحذير النبي ﷺ من اقتصاص الحقوق يوم القيامة بما جاء في الحديث

عَنْ أَبِي الْمُتَوَكِّلِ النَّاجِيِّ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْلُصُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا»[2].

---

١) حديث مرفوع متصل رواه الدارمي في سننه – كتاب الرقاق – باب في أكل السحت.

٢) صحيح البخاري – كتاب الرقاق – باب القصاص يوم القيامة.